آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية مكتبية.

تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

السنة الرابعة - العدد الثالث عشر - المحرم ١٤١٧ هـ = يونيو (حزيران) ١٩٩٦م.

(نمرة ١) يوم السبت ١٥ محرم سنة ١٢٨٧ الموافق ٩ مرمودة سنة ١٥٨٦ (سنه اولى)

روضة المدارس المصرية

تعلم العلم واقرأ * تمز نهار البطوه
فالله قال لبعضي * خذ الكتاب بقوه

تحت نظارة

ديوان عموم المدارس الملكية

مباشر تحريرها

على فهمي بك نجل رفاعه بك

تظهر فى الاسبوع مرة واحدة

وثمن ترتيبها عن سنة واحدة ٨ مصرى

الثمن يدفع	بالقاهرة	٧٧ ٦	سلفا
	بالديار المصريه	٨٢	
	بالخارج	٩٠	

بمطبعة حرنال وادى النيل

بالقاهرة المحروسة بالوسكى

مجلة روضة المدارس المصرية

معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن وفي الأدب

الدكتور علي كمال الدين محمد الفهادي
كليـــة الآداب - جامعـــة الموصـــل

لفتت نظري قصيدة في ديوان حسان بن ثابت يعاتب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فتساءلت: أتجوز معاتبة الرسول وهو لا ينطق عن الهوى؟ وهل يقبل العتاب من أصحابه؟ ثم أجلت النظر والخاطر في شعر صدر الإسلام ونثره، فتذكرت عتاب الأنصار بشأن غنائم حُنَيْنْ واستجابة الرسول الكريمة لذلك العتاب، فتاقت نفسي لدراسة هذا اللون الأدبي على ندرة نصوصه، وذهبت أبحث في كتاب الله عز وجل، فصدرت عن آيات يعاتب الله فيها نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فعقدت العزم على دراسة الموضوع، ورحت أفتش عن مفهوم «العَتْبِ» في اللغة والاصطلاح مجيلاً النظر في بطون المعاجم والتفاسير. وسأدرس آيات العتاب في القرآن الكريم لأرى تدرّجه الأسلوبيّ فيها بين الرقة والشدة، ولأكشف عن مدى تأثر العتاب الأدبي بأسلوب العتاب القرآني، وأرى موقف النبي صلى الله عليه وسلم من العتاب الأدبيّ قبولاً ورفضاً.

العتـــاب لغـــةً

يخرج المرء بعد بحثه في معجمات اللغة بمفهوم للعتب يجعله أدنى درجات اللوم وأخفّ مراجعة المتواجدين. فالمعاتبة دون اللوم عند الهمذاني، فهو يوردها في باب اللوم بقوله: «يقال: لمت الرجل لوماً وعذلته عذلاً، وأنّبتُهُ تأنيباً، وقرعتُهُ تقريعاً، وفنّدته تفنيداً، ووبختُهُ توبيخاً، وبكّتُهُ تبكيتاً، ولحيتُه لحياً، وعنّفتُهُ تعنيفاً. فهي المعاتبة ثم اللوم ثم التقريع ثم التوبيخ ثم التأنيب»(١). فالمعاتبة أخفُّ ما يكون عليه اللوم. و«العتبُ» عند ابن فارس «الموجدَة» يقول: «العتبُ الموجدَة، تقول: عتبت على فلان عتباً ومعتبةً، أي وَجَدْتُ عليه ثم يشتق منها فيقال: أعتبني، أي ترك ما كنت أجد عليه ورجع إلى مسرتي»(٢) ويورد الجوهريّ قول الخليل: «العتابُ مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدَة.. يقال: إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتَاب. وأعتبني فلان، إذا عاد إلى مسرتي راجعاً عن الإساءة، والاسم منه العُتْبى.. تقول: استَعْتَبْتُهُ، فَأَعْتَبَني، أي استَرْضيتُهُ فأرضاني»(٣). والمعاتبة عند الفيروز آبادي تواصفُ الموجدة، يقول: «العتبُ الموْجدَة.. والمعتَبَةُ والملامَةُ كالعتاب والمعاتَبَة.. والمعاتَبَةُ: تواصفُ الموجدَة ومخاطبةُ الإدْلال»(٤). وينقل ابن منظور قول الأزهري: «التَعَتُبُ والمعاتَبَةُ والعتابُ: كل ذلك مخاطبَةُ الإدْلالِ وكلام المُدلِّينَ أخَلاّءَهُم، طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكَرة بعضهم بعضاً ما كرهوه مما كَسبهم الموجدَة»(٥). «وعاتَبَهُ معاتَبَةً وعِتاباً: كلّ ذلك لامَهُ، قال الشاعر:

أعاتبُ ذا المودّة من صديقٍ
إذا ما رابني منهُ اجْتناب
إذا ذهبَ العتابُ، فليس وُدٌ
ويبقى الوُدُّ ما بقيَ العتاب»(٦)

فحصيلة المفهوم اللغوي للمعاتبة تَنبني على علاقةٍ تقوم بين اثنين، لبُها المودة والصداقة والحبُ، وقشرها موجدة تزيلها المصارحة والمراجعة.

نجد في كتب تفسير القرآن الكريم اشتقاق فعل مبني للمجهول ورد على صيغة الاستفعال من مادة «العتب» في تفسير قوله تعالى: ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾(٧). وقد قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: «الاستعتاب طلب العتاب، والرجل يطلب العتاب من خصمه إذا كان على جزم أنه إذا عاتبه رجع إلى الرضا، فإذا لم يطلب العتاب منه دلّ على أنه راسخ في غضبه وسطوته»(٨) فالرازي يجلو لنا حقيقة مهمة ينبني عليها العتاب والمعاتبة، ألا وهي الرضا المرجوّ من العتاب والمودة الملتمسة من المعاتبة ليحيل الكدر. ويقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ولاهم يستعتبون﴾: «يعني يسترضون، أي لا يكلفون أن يُرضوا ربهم، لأن الآخرة ليست بدار تكليف، ولا يتركون إلى رجوع الدنيا فيتوبون. وأصل الكلمة من العَتْب وهي الموجدَة، يقال: عتب عليه يُعتِبُ إذا وَجد عليه، فإذا فاوضه ما عتب عليه فيه قيل: عاتبه، فإذا رجع إلى مسرتك فقد أعْتَبَ، والاسم العُتبَى وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب. قاله الهرويّ(٩) وقال النابغة الذبياني(١٠):

فإن أكُ مظلوماً فعبدُ ظلمتَه
وإن تكُ ذا عُتبى فمثلك يُعتب

العتاب اصطلاحاً

أسفر البحث في معاجم اللغة وكتب التفسير عن حقيقة المعاتبة التي تقوم على أساس من الحرص على استمرار المحبة أو الصداقة أو الرضا بعد حصول ما يكدِّرها وينغِّصها، فإذا حصلت المعاتبة زال الكدر وصفت النفس وسكنت إلى الحب والصداقة والمودة. ولم يقبل «الاستعتاب» في القرآن الكريم من الكافرين، لأن فرصتهم في التوبة قد أفلت في الحياة الآخرة، وقد زال ميدان العمل بزوال الدنيا وفنائها، وجاء اليوم الحق فتجزى كل نفس بما

قدمت وكسبت في حياتها الأولى، وليس ثمة رجعة إليها من الآخرة، وليس ثمة عتبٌ واستعتاب للكافرين ذلك أنهم منحوا كل فرص التوبة في حياتهم الدنيا، فاستنفدوها ضالين.

أولاً : العتاب في القرآن الكريم

عاتب الله جل شأنه نبيّه الكريم وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم غير مرة في القرآن الكريم فهو سبحانه خالق النبي صلى الله عليه وسلم وبارىء نسمته على خلق كريم، وقد عاتبه لأمته، وعاتبه لنفسه وأهله، وعاتبه لصحبه وعاتبه لدعوته.

وفي كل عتاب درس للأمة والإنسانية فرداً ومجتمعاً، قبائل وشعوباً، تسير البشرية على هديه، وتنهج نهجه.

وقد تدرج العتاب من اللطف واللين الذي يسبقه العفو إلى العتاب اللين الذي يتلوه العفو، فالعتاب الرادع ثم الشديد.

وكان التدرج على هذا النحو في الآيات الكريمة التالية:

١ – قال الله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (١١).

عندما أراد الرسول – صلوات الله عليه – الخروج للجهاد في غزوة «تبوك» استأذنه المنافقون وتعللوا بالعلل ليقعدوا عن الجهاد، فأذن لهم؛ «أخرج ابن جرير عن عمرو عن ميمون الأزدي، قال: اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء، إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الأسارى. فأنزل الله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم..﴾ الآية (١٢) وهذه الآية يعجّل فيها الله العفو لحبيبه ويقدم له الصفح قبل أن يعاتبه باستفهام رقيق هادىء رفيق

﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم..﴾

ويقدم له ولأمته الدرس البليغ والنهج الذي يصاغ بموجبه المجتمع المتماسك المتحد، مجتمع كل فرد فيه واضح الموقف والقصد والهدف، مجتمع يكشف ادعاء المدعين ومراء المرائين الذين يعلنون اعتناق المبادىء والعقيدة ولا يقاتلون في سبيلها(١٣). فهذا العتاب من أجل الأمة لتكشف في حاضرها ومستقبلها كل الفئات المزيفة التي تتشدق بالمبادىء ولا تحارب دفاعاً عنها.

٢ – وقال سبحانه: ﴿يا أيّها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾(١٤).

يبين السيوطي سببين لنزول هذه الآية الأول: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة [ماريّة القبطية] يطؤها فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حراماً»(١٥). والثاني أن الرسول عليه الصلاة والسلام «كان يشرب عند سودة(١٦) العسل. فدخل على عائشة. فقالت: إني أجد منك ريحاً. ثم دخل على حفصة فقالت مثل ذلك. فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فنزلت «يا أيها النبي..»(١٧). وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (– ٨٥٢ هـ): «يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً»(١٨). فهنا يعاتب الله جلّ شأنه نبيّه وصفيه لنفسه ولأهله، ليجعل من هذا العتاب سنة للمؤمنين، تحجزهم عن حرمان النفس مما أحل الله لها ابتغاء مرضاة الزوج والأهل، ذلك أن حرمان المرء نفسه من متع الدنيا التي أحلها الله له قد تدفع به إلى بغض من كان السبب في دفعه إلى العزوف عنها، وعندها قد تحدث ثلمة للشروط التي اشترطها الله سبحانه للزواج السليم بقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾ (١٩). ان الاسرة السعيدة القوية

المتماسكة أس المجتمع الإسلامي، يقوم عليها بناؤه وتقام عليها دعائمه ويشاد بها صرحه، وقد كان العتاب الإلهي رقيقاً هادئاً يصور لنا الجوّ الذي يريده الإسلام للأسرة، جواً رقيقاً مبنياً على حوار، لبه الهدوء والتفاهم والتفاوض، وقد بني هذا العتاب على الاستفهام المؤثّر الرقيق: ﴿يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك﴾ وهو استفهام يشبه استفهام العتاب السابق في سورة التوبة ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم..﴾ غير أنه سبق بالعفو وجاء الاستفهام هنا {لم تحرّم..﴾سابقاً للعتاب مشفوعاً بالعفو ﴿والله غفور رحيم..﴾. ولا يخرج الأمر إلى التحريم الشرعي؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم «لم يكن حرّم العسل أو ماريّة (٢٠) بمعنى التحريم الشرعي، إنما كان قد قرر حرمان نفسه فجاء هذا العتاب يوحي بأنّ ما جعله الله حلالاً فلا يجوز حرمان النفس منه عمداً وقصداً إرضاءً لأحد.

والتعقيب بعبارة ﴿والله غفور رحيم﴾ يوحي بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة وأن تتداركه مغفرة الله ورحمته، وهو إيحاء لطيف»(٢١). فهذا العتاب للنفس والأسرة، وهو درس يصوغ الحرية في دائرة ما أباح الله للمرء في بيته وأسرته.

٣ – وقال سبحانه: ﴿عبس وتولّى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعلّه يزّكّى، أو يذّكّر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى، فأنت له تصدّى، وما عليك ألاّ يزّكّى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى فأنت عنه تلهّى، كلا إنها تذكرة، فمن شاء ذكره، في صحفٍ مكرّمة، مرفوعة مطهّرة، بأيدي سفرة، كرامٍ برَرَة، قتِل الإنسان ما أكفره﴾(٢٢).

وقد نزلت هذه السورة كما أورد ابن هشام لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقف مع الوليد بن المغيرة ويكلّمه طمعاً في إسلامه، «فبينما هو في ذلك إذ مرّ به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل يستقرئه القرآن، فشقّ ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه. فأنزل الله تعالى فيه: «عبس وتولّى..» إلى قوله «في صحفٍ مكرّمة مرفوعة مطهّرة»(٢٣).

هذا العتاب يبني منهج العلاقة بين النبي صاحب الدعوة وأصحابه والناس الآخرين، فرسالة الإسلام للناس كافة، بيد أن الحرص على كسب الناس ودخولهم الإسلام يجب ألاّ يكون على حساب السابقين فيه، فما ينبغي أن نقبل على المرء كافراً وننصرف عنه إذا أسلم وما أرسل الله رسالته إلى طبقة من الناس دون أخرى، خاصة وأن مادة الإسلام في أغلبها من فقراء الناس لا من مترفيهم، بدليل قوله تعالى على لسان المشركين: «وما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادي الرأي»(٢٤) وفي محاورتهم لنوح عليه السلام قالوا له: «أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون»(٢٥).

عاتب الباري سبحانه نبيّه بقوله: «عبس وتولّى..» مستعملاً ضمير الغائب لا المخاطب. «وفي هذا الأسلوب إيحاء، بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب سبحانه أن يواجه به نبيّه وحبيبه. عطفاً عليه ورحمةً به، وإكراماً له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه » (٢٦).

ثم يهدأ العتاب بالالتفات من الحكاية عن ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب باستفهام، فيه عتاب ﴿وما يدريك لعلّه يزّكّى أو يذّكّر فتنفعه الذكرى﴾. وتعلو نبرة العتاب وتشتد لهجته، وينتقل إلى التعجيب من ذلك الفعل محل العتاب {أما من استغنى، فأنت له تصدّى وما عليك ألاّ يزّكّى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى﴾. ويسمي الانشغال عن الرجل المؤمن الراغب في الخير النقيّ تلهياً.. وهو وصف

شديد»(٢٧).
ويعنف أسلوب العتاب ويشتد «وللمرة الوحيدة في القرآن كلّه يقال للرسول الحبيب القريب: ﴿كلاّ﴾ وهي كلمة ردع وزجر في الخطاب! ذلك أنه الأمر العظيم الذي يقوم عليه هذا الدين»(٢٨). فهذا العتاب في أصحاب رسول الله ودعوته، وهو تدرج إلى العتاب الخالص الذي لم يسبق، لم يتبع بعفو، بل ختم بما يفيد الردع.
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يهشّ لابن أم مكتوم، ويرعاه، ويقول له كلما لقيه: «أهلاً بمن عاتبني فيه ربي». وقد استخلفه مرتين بعد الهجرة على المدينة(٢٩).
٤ – وقال جلّ شأنه: ﴿ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾(٣٠).
نزلت هاتان الآيتان في أسارى بدر عندما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم الناس في شأن الأسرى، فقال: «إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم وقبل منهم الفداء»(٣١).
عاتب الله نبيه الكريم، فقرر قاعدة عامة للدعوة، تمنع المسلمين من فداء الأسرى قبل أن تقوى شوكتهم وتترسخ أقدامهم في الأرض سيطرةً وثباتاً وينفوا عدوهم من أرضهم، ومن ثمّ يحق لهم أن يفادوا أسراهم؛ ﴿ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾. ثم يلتفت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أشار عليه بالمن والفداء وأخذ المغانم(٣٢) فيخاطبهم مخاطبة الحاضر، يقول: ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ أي التمتع بعاجلها من المغانم والفداء خلافاً لما يريده الله جل شأنه من قتلهم لإظهار الدين الذي تدرك به الآخرة ﴿والله يريد الآخرة﴾. ويتدرج العتاب ويعنف فيستحيل وعيداً بعذاب عظيم، لولا أن الله قد كتب على نفسه أن لا يؤاخذ الناس إلا بعد نهي وأمر وإقامة حجّة، ولم يك قد نهاهم(٣٣) ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾.
ففي هذا العتاب درس للأمة كي لا تشري دنياها بآخرتها فتخسر الأولى والثانية، وهذا أعنف عتاب عاتب الله به رسوله الحبيب، لأنه تضمن تهديداً ووعيداً بعذاب عظيم.

وبعد فقد تدرج أسلوب العتاب في القرآن الكريم من الرقة واللطف إلى العنف والشدة فجاء على الصيغ الآتية:

١ – عتاب ليّن رقيق يسبقه العفو: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾.
٢ – عتاب لين رقيق يتبعه العفو: ﴿يا أيها النبيّ لم تحرّم ما أحل الله لك.. والله غفور رحيم﴾.
٣ – عتابٌ شديد مشفوع بتنبيه رادع ﴿كلاّ إنها تذكرة...﴾.
٤ – عتاب شديد مشفوع بالتهديد والوعيد بعذاب عظيم ممتنع ﴿ولولا كتابٌ من الله سبق لمسَّكُم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾.
لقد كان العتاب كله من أجل الأمة فرداً ومجتمعاً، فأما الأول فدرس يمتحن المسلم بالجهاد، فإن لبّى نداءه فقد اهتدى، وإن تخاذل فقد غوى. وأما الثاني فيرسم حرية رب الأسرة في إطارها الحلال تلمساً لحياة ساكنة في ظلال المودة والرحمة. وأما الثالث فلبناء منهج سليم ينظم العلاقة بين الدعاة والمدعوين في الإسلام، وأما الرابع فلترسيخ أقدام الأمة على الأرض كلما مسها وهن أو نابتها نائبة.
وقد كان العتاب الرحماني موجزاً قصيراً في لفظه عظيماً في معانيه كالنور ينبثق من نقطة فيضيء الأرض والفضاء الرحيب، وقد حق هذا العتاب وجاز لأنه عتاب الخالق لمخلوقه وحبيبه وصفيّه، فهل يصح عتاب الرسول من البشر

نثراً أو شعراً؟ وهل يقبله الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس بعد أن قبله من ربّه؟ نرجو أن نوفق في جلاء الإجابة عن ذلك فيما يأتي من النثر والشعر.

ثانياً : العتاب في الأدب

أ – في النثر :

قبل الرسول صلوات الله وسلامه عليه عتاب ربه واستجاب له بأدب وقناعة وسمو عبودية للخالق وطاعة من المخلوق، وقد عاتبه صحبه ففاوضهم ورجع إلى إرضائهم، والإنسان يعاتب الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا يرى ما يراه النبي، ولا يعرف ما يعرفه، فقد وضع الله في خلق الرسول وخلقه من فضائل القوة والعقل والحكمة وحسن السيرة والمعاشرة ما يؤهله لحمل الرسالة ويبوّئه قيادة الدعوة؛ فقال تعالى: «وإنك لعلى خلقٍ عظيم»(٣٤)

وقال سبحانه: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك»(٣٥).

وفضلاً عن هذا الطبع الذي جبل عليه، والخلق الذي فطر عليه والسيرة التي سارها في قومه، كان الصادق الأمين فيهم، فقد بصّره الوحي بما لم يُبصر، ونبّأه بما لم يعلم، فكان يرى عين اليقين خلافاً للإنسان العادي الذي لن يبلغ مهما بلغ عظمة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بمعزل عن الوحي. فكيف والوحي يكتنف رؤيتها ويكشف عنها الحجب؟

ومن هذا القصور البشري الذي لا يدرك عظمة الرسول الإنسان وعظمة الرسول النبي، كان عتاب الناس للنبي صلى الله عليه وسلم،

وكان عتاب المؤمنين له، وكان العتاب للدنيا بمعزل عن الآخرة وكان الرسول ينظر إلى الدنيا من خلال الآخرة، وإلى الحاضر من خلال المستقبل الذي سيؤول إليه، وقد لجأ قليلون إلى معاتبة الرسول صلوات الله عليه – ابتغاء دنيا يصيبونها – لحبهم إيّاه وحرصهم على محبته وإيماناً منهم بسعة صدره وعدله وحلمه الذي وسع الأمة كلها أفراداً وجماعات؛ قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾(٣٦).

كان العتاب الذي وصل إلينا في النثر نزراً يسيراً فالرسول صلى الله عليه وسلم، لم يأت في حياته ما يستلزم العتاب، وما ورد منه بشأنه من الناس كان منطوياً على قصور في نظرة أولئك الناس إلى موقف الرسول وسلوكه، وسنعرض لهذا القليل ثم ندرس استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لعتاب الأنصار وإجابتهم معاتبة بمعاتبة حتى ندموا فتراضيا.

عاتب الأنصار الرسول بشأن غنائم يوم حُنَين بعد فتح مكة، إذ «لما كان يوم حُنَين أقبلَت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من الطلقاء فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: يا معشر الأنصار. قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك. ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار. قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء، فنزل، فقال: أنا عبد الله ورسول الله، فانهزم المشركون، فأصاب يومئذ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا، فبلغه ذلك، فجمعهم فقال: يا معشر الأنصار»(٣٧). وقالت الأنصار أيضاً وفي اليوم نفسه: «والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا ترد عليهم»(٣٨). وقال قائلهم: «لقد لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل

العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع لي قومك.. فلما اجتمعوا له.. قال: يا معشر الأنصار..»(٣٩).

فعتاب الأنصار ورد في ثلاث عبارات أجملها سعد بن عبادة في النهاية أمام رسول الله.

وكانت الأولى قولهم: «والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا لتقطر من دماء قريش وغنائمنا تُردُّ عليهم». فهم يعلنون دهشتهم وحيرتهم من فعل الرسول إذ يعطي آخر الناس إسلاماً ويحرم أول الناس إسلاماً، ويستعمل قائلهم التقابل في تفسير العجب والدهشة بين «إن سيوفنا لتقطر من دماء قريش». و«وغنائمنا ترد عليهم».

وكانت الثانية قولهم: «إذا كانت شديدة فنحن ندعى، ويعطى الغنيمة غيرنا». أخذتهم الدهشة من حرمان الرسول إيّاهم، وهو الذي اعتاد أن يكرمهم، ويتساءلون عن سر هذه المفارقة بين دعوتهم عندما هرب الطلقاء وقسمت الغنائم في سواهم ومنهم الهاربون، وقد عبروا عن ذلك بأسلوب الشرط وجوابه: «إذا كانت شديدة فنحن ندعى»، وبالتقابل الدلالي بين معنى الجملتين «إذا كانت شديدة فنحن ندعى» «ويعطى الغنيمة غيرنا».

وكانت الثالثة قولهم: «لقد لقي والله رسول الله قومه». فقد رأوا عاتبين أن الرسول آثر قومه عليهم بالغنائم لقرابته فيهم، فظنوا مساساً بعدالته – حاشاه – فعبّروا عن ذلك مؤكدين باللام الموطئة للقسم التي اقترنت بقد مشفوعة بالفعل الماضي متبوعة بالقسم بالله عز وجل.

ثم يحمل سعد بن معاذ عباراتهم الثلاث ويصوغها برفق وهدوء فيقول: «إنَّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء».

لقد أجمل سعد موجدتهم بسبب ظنهم بإيثار الرسول قومه، وإغداق العطايا في قبائل العرب دون الأنصار، جمع سعد مقابلاتهم في الأسلوب بمقابلة واحدة بين «قسمت في قومك» و«ولم يك في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء». ونلمح في قول سعد بن معاذ توكيداً على حرمان الأنصار يلوح في التركيب الاسمي للجملة المؤكدة بإنَّ، التي ورد خبرها جملة فعلية مسبوقة بقد التحقيقية، كما يلوح بتكرار صيغة الفعل الماضي أربع مرات «صنعت، أصبت، قسمت، أعطيت». كانت عبارات العتاب الثلاث بعيدةً عن مسامع الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن سعداً جمعها، وقرّبها، وعرضها على الرسول صراحة ومواجهة، ليسمع الجواب ويعرف البيان، إيماناً منه بعدالة الرسول واعتزازاً بحرية القول وحب نبيّه حباً عميقاً، يخشى أن يمسَ صفوه بشائبة تكدره.

يعتب الأنصار وعيونهم تنظر إلى الدنيا ونفوسهم ترى الماضي والحاضر ويغيب عنّا وعنهم المستقبل. ويقبل الحبيب اللبيب العتاب متسائلاً عن الخبر الذي بلغ مسامعه مندهشاً من تفكير الأنصار بالدنيا، وهم الذين وهبوها لإخوانهم المهاجرين فقاسموهم التمرة والحصير والرغيف، وهم الذين اشترى الله دنياهم بآخرتهم بأن لهم الجنة، فيقول لهم بأسلوب العارف بداء الكلام وأدوائه، ومصادره وموارده، بمعان ظاهرة مكشوفة، قريبة معروفة عند أحبائه الأنصار: «يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة(٤٠) وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالة(٤١) فأغناكم الله، وأعداءً فألّف بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله أمنُّ (٤٢) وأفضل»(٤٣).

إن الرسول يجيب العتاب بعتاب للذكرى، فيذكر الأنصار بأفضل غنائمهم التي غنموها في الإسلام، وهي هجرته إليهم،فقد كانت الهجرة بفضله هداية وغنى وأخوّة لهم، يعاتبهم

باستفهام منفيّ للتقرير، فتنفعهم الذكرى فيقولون: «الله ورسوله أمنّ وأفضل»، وكأنهم ندموا على ما بدر منهم من عتاب بعد أن ذكَّرهم الرسول صلوات الله عليه بفضله وفضل الله عليهم. وكأنه صلوات الله عليه لا يريد أن يراهم حزانى كاسفين نادمين فيسألهم: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنّ والفضل. قال صلى الله عليه وسلم: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصُدِّقتم: أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك ومخذولاً(٤٤) فنصرناك وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك»(٤٦). لقد منّ عليهم أن هداهم الله وأغناهم وألّف بين قلوبهم على يديه في بداية خطبته، ثم وازن بين موقفه منهم وموقفهم منه بعد أن أقرّوا بفضل الله ورسوله ومنِّهما عليهم، فذكر صلى الله عليه فضلهم على الإسلام ودعوته ونبيّه يوم صدقوه ونصروه وآووه وآسوه مستعملاً أربع جمل مزدوجة في قوله: «فصدقناك، ونصرناك، فآويناك، فآسيناك» وتقوم موازنته في الموقف على معان متكافئة هي الهداية والغنى والتآلف في موقفه منهم والتصديق والنصرة والإيواء، والتأسي في موقفهم منه، فكان القاضي العدل بينه وبينهم، عرض رأيهم ورأيه في الدنيا بتوازن إسلامي جمع الفكرة والفن، ثم التفت إليهم ليكشف لهم ما غاب عنهم وما تأبَّى تفسيره عليهم من قسمة الغنائم بين سواهم مذكّراً بأن الغنائم إنما هي دنيا، وما حالفهم عليها، وما آمن وآمنوا بالله من أجلها، وما أرادوا الحاضر، ولكن أرادوا الله والآخرة، فيدخل إلى قلوبهم متسللاً بلطف مستفهماً بالهمزة بأسلوب المعاتب: «أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة(٤٧) من الدنيا تألّفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم»(٤٨).

وبعد أن يفسّر لهم ما التبس عليهم من تقسيمه الغنائم في سواهم من أنه أراد الآخرة ونشر الدعوة ليسلم الناس ويحسن إسلامهم بعد أن يتألفهم بالمال والعطاء، يفضي إلى الأنصار بثقته العالية بهم وبصدق إسلامهم الذي وكلهم إليه، يعود مستفهماً مرة أخرى استفهام العاتب المدلّ المحب: «ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟»(٤٩).

يوازن لهم مرة أخرى فيخبرهم أنه أعطى الناس الدنيا، وبشرهم بأن لهم الآخرة ممثلة برسول الله، ويطمئنهم بأنه لم يؤثر قومه كما ظن الظانون منهم، فلن يعود إلى مكة، ولكنه سيعود إلى أحبابه في المدينة. ويبلغ به صلى الله عليه وسلم الحماس وصدق القول والانفعال المحب المدلّ فيقسم بالذي نفس محمد بيده، والقسم هنا أثير عزيز عميق عند الأنصار، يجتمع فيه الإيمان والحب، الإيمان بالله والحب العميق لنفس رسول الله «فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار»(٥٠). إنه ليؤكد نفسه أنصارياً في القسم وفي السير في شعاب الأنصار دون شعاب سائر الناس.

ثم يعود ويستشعر الحب العميق للأنصار فيدعو لهم: «اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»(٥١). دعوة حب ورحمة من نبي الرحمة، لهم ولأبنائهم ولحفدتهم من بعدهم بعبارات ثلاث مزدوجة، ختمها جميعاً بالاسم المحبب إلى نفسه «الأنصار». لقد كرّر اسمهم فناداهم: «يا معشر الأنصار» أربع مرات، وذكرهم في خطبته فضلاً عن هذا النداء ست مرات، وما تبع هذا التكرار إلاّ من الحب وما زاد التكرار إلا من عمق ذلك الحب في نفس الرسول الطاهرة النقية.

وكان من أثر هذه الخطبة أن: «بكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله

قسماً وحظاً»(٥٢).

لقد عاتب الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عتابهم، وعاتبهم فكان خير عاتب ومستعتب. وقد كان النثر الذي ورد فيه قول الأنصار كما أشرنا آنفاً قليلاً موجزاً، وبدا عليه تخيّر الكلام وحسن صوغه تأدباً وكياسة وفطنة في الحديث عن رسول الله صلوات الله عليه.

ب ـ العتاب في الشعر

عاتب ثلاثة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم في قصائد قليلة، وفي حالات نادرة خاصة قياساً بالكم الكبير الذي وصل إلينا من الشعر في حياته الكريمة، وقد استجاب لذلك العتاب مدللاً على عظمة شخصيته التي وصفها القرآن الكريم وعرفتها الأجيال الإنسانية، وكانت تلك الحالات التي ورد فيها العتاب حالات إنسانية قد تبدو محقة في أثناء حاضرها وفي دائرة المعرفة التي يغيب عنها الوحي أو يغيب عنها تصوّر المستقبل والحياة الآخرة، فمن هذه الحالات:

١ ـ عتاب قُتيلة بنت النضر بن الحارث.

أسر المسلمون النضر بن الحارث يوم بدرٍ فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بقتله فقتله(٥٣)، وكانت ابنته قتيلة شاعرة محسنة، فكتبت للرسول صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر وذلك قبل إسلامها(٥٤)، وقدمت لقصيدتها برثاء أبيها(٥٥).

يا راكباً إنّ الأُثيل مظنّة
من صُبْح خامسةَ وأنت موفّق(٥٦)
أبلغ بها ميتاً بأن تحيّةً
ما إنْ تزال بها النجائب تخفق(٥٧)
مني إليك وعبرةً مسفوحةً
جادت بواكفها وأخرى تخنق(٥٨)
هل يسمعنّي النضر إن ناديته
أم كيف يسمع ميّت لا ينطق؟

ترسل الشاعرة التحية تلو التحية إلى أبيها مع الركبان، وتذري الدمع عبرات خانقة معلنة أسفها على موت أبيها الذي عطّل الموت حواسه، فصُمّ عن سماع تحيتها، وأخرس عن الإجابة عليها، وتسأل سؤالين حزينين برقة وإشفاق منكرة فيهما سماع الميت ونطقه، وبعد أن توفّي حاجة نفسها من العبرات، وحق أبيها من الرثاء، تنتقل بذكاء إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لتمهّد ببيت من المديح لعتاب كريم حزين تسوّغه قرابة أبيها من رسول الله وتشير آسفة إلى تشقق صلة الرحم القديمة التي أبدلها الله برحم العقيدة مستثيرة الشفقة على أبيها إذ صورته أعزل يرسف في قيده متوجهاً نحو قتله(٥٩):

أمحمدٌ يا خير ضنء كريمة
في قومها والفحل فحلٌ معرق(٦٠)
ما كان ضرّك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المحنَق(٦١)
أو كنت قابل فدية فلينفقن
بأعزّ ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابةً
وأحقّهم إن كانِ عتقٌ يُعتق
ظلّت سيوف بني أبيه تنوشُه
لله أرحامٌ هناك تشقّق(٦٢)
صبراً يقاد إلى المنيّة متعباً
رسف المقيَّد وهو عانٍ موثق(٦٣)

وبعد هذا التصوير والوصف يهتز الرسول صلوات الله عليه هزة كريم فيعلن: «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه»(٦٤).

ومن كرم هذا العتاب ورقّته قال القدماء في هذه القصيدة وصاحبتها: «إن شعرها أكرم شعر موتورة وأعفّه وأكفّه وأحلمه»(٦٥).

غير أن هناك من صعّد هذه الحالة الإنسانية التي تؤكد حبّ الابنة لأبيها وحزنها وأسفها على فراقه إلى حالة من الصراع القبليّ تنطلق من هاجس الحرص على القبيلة «وهاجس القبيلة وروابطها لم يكن يطفو من خلال الصراع (بين المسلمين والمشركين) وإنما كان يخالط حتى حالات من العتاب، والقتيلة

بنت الحارث في رثاء أبيها وقد قتل في أسره ما يُلمح إلى ذلك»(٦٦) والحق أن الشاعرة أشارت إلى تشقق الأرحام وإلى القرابة بين أبيها والرسول صلى الله عليه وسلم لتسوغ عتابها.

لقد جاء أسلوب قُتيلة حزيناً مفعماً بالأسى، منطلقاً من إيمانها بقدرة الرسول الكريم على العفو والمن ووصل الرحم، وتمنت في نفسها لو أن قبل الرسول من أبيها الفداء كما قبله من أسارى بدر، ولكنها أمنيات مشركة تنطلق من حالة إنسانية تفيض بحب الأب المشفوع بالحزن والأسى واللوعة انطلاقاً من نظرة غاب عنها الإسلام والوحي والإيمان، وكانت الاستجابة الكريمة الممتنعة «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه» تجاوباً مع العاطفة الإنسانية، وتخفيفاً أو غسلاً للضغينة من قلب الشاعرة، ويأتي هذا العتاب متسقاً مع لون العتاب الأول في القرآن الكريم، إذ سبق العفو العتاب في القرآن، وقدّمت الشاعرة للعتاب ببيت من المديح للرسول صلوات الله عليه.

٢ - عتاب العباس بن مرداس السُّلَميّ:

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حُنَيْن المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألف بهم قومهم.. وأعطى عيينة بن حصن الفزاري مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير.. وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها(٦٧)، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله(٦٨):

وكانت نهاباً تلافيتها
بكرّي على المهر في الأجرُع(٦٩)
وإيقاظي القوم أن يرقدوا
إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العُبيد (م)
بين عيينة والأقرع(٧٠)
وقد كنت في الحرب ذا تُدْرأ
فلم أُعْطَ شيئاً ولم أمنع(٧١)

وكانت أفائل أعطيتها
عديد قوائمها الأربع(٧٢)

يوضح العباس لنا موقفه من نصيبه من الغنائم، مستنداً إلى عقلية جاهلية ترى أن يناسب نصيب المقاتل من الغنائم بلاءه في الحرب ودوره في القتال، وغاب عن تصوره ما وعد الله المجاهد في الآخرة من ثواب وحسن مآب، ذلك أنه حديث عهد بالإسلام، فهو ينظر إلى نصيبه ومكانه في الحرب من خلال ندّيه الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري، وهو ينظر إلى حجم الغنائم التي ينالها من الرسول صلوات الله عليه على أنّها تمثل منزلته الاجتماعية التي يتبوَّها بين المسلمين من خلال قوله(٧٣):

وما كانَ حِصْنٌ ولا حابسٌ
يفوقان مرداس في مجمع
وما كنتُ دون امرىء منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع

لقد رأى الشاعر في نصيبه الذي هو دون نصيب أقرانه وأنداده من الفرسان غضّاً من شأنه، وتفضيلاً لأقرانه عليه(٧٤) وقد نبع هذا العتاب من نفس أعرابية دخلها الإسلام ولم يتعمقها الإيمان، {قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} (٧٥). وقد قبل الرسول صلوات الله عليه هذا العتاب بغير ارتياح، فقال: «اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه»(٧٦). فقطع اللسان كناية عن الإسكات، وهي كناية عن تجاوز عتاب الشاعر حدوده، وتهافت موقفه(٧٧)، وشتّان هنا بين قبول الرسول الكريم عتاب الأنصار وقتيلة وعتاب العباس، وقد استصفى الرسول صلوات الله عليه نفس الشاعر بزيادة نصيبه من الغنائم حتى عاد راضياً إليه، فقال له معاتباً باستفهام خارج إلى عتاب لا يخلو من تقريع: «أتقول في الشعر؟ فجعل يعتذر إليه ويقول: بأبي أنت وأمي إني لأجد للشعر على لساني كدبيب النمل، ثم يقرصني كما يقرص النمل، فلا أجد

بدّاً من قول الشعر، فتبسّم صلى الله عليه وسلم وقال: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين»(٧٨). وشتّان أيضاً بين العاطفة الرقيقة الحزينة الشفّافة التي صدر عنها شعر قتيلة والعاطفة الفجّة التي تفوح منها رائحة الطمع بالشاة والبعير التي نبع منها شعر العباس الذي لم يتأثر بأسلوب القرآن الكريم ليناً ورقة في العتاب.

٢ - عتاب حسان بن ثابت الأنصاري:

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وقبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئاً(٧٩) وقدّم خالد بن الوليد في غزوة الفتح في سليم وغيرها، وسار هو صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، فلما جعل سُليماً في المقدمة كرهت ذلك الأنصار فقال حسان(٨٠):

زادت همومي فماءُ العين ينحدر
سحّاً إذا غرّقته عبرة دِرر
وجداً بشعثاء إذ شعثاء بهكنة
حوراء لا دنسٌ فيها ولا خور
دع عنك شعثاء إذ كانت مودتها
نزراً وشرٌ وصال الواصل النزر

يبدأ شعر حسان بعاطفة يشوبها الحزن وتغرقها الدموع الغزيرة معبراً عن وجد عميق وحب أصيل طاهر نقي من الدنس والخَوَر، مصوراً العلاقة التقيّة الصافية التي تربط الرسول صلوات الله عليه بالأنصار، وينتقل إلى العتاب مبيناً سببه موضحاً دواعي حزنه:

واتِ الرسول فقل يا خير مؤتمنٍ
للمؤمنين إذا ما عُدِّلَ البشر
علام تدعى سليم وهي نازحةٌ
أمام قومٍ هم آووا وهم نصروا

إن حساناً يخشى أن يفسّر العتاب بموجدة أو فتور الحب، ولذلك يحتاط للأمر فيعلن أن الرسول صلوات الله عليه «خير مؤتمن للمؤمنين» من دون سائر البشر - وإنه لكذلك - فالشعر يبدأ العتاب بالمديح على نحو ما فعلت قتيلة من قبل، ثم يسأل الرسول عن سر تقديم سليم على الأنصار مع أنها بدوية «نازحة» لم تقم معه في المدينة، وهي حديثة عهد بالإسلام. والأنصار أول الناس إسلاماً بعد المهاجرين، ويذكّر حسان الرسول بالآيات الكريمة التي نزلت بحق قومه الذين آووا ونصروا: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾(٨١)، ثم يذكره بمواقفهم ومشاهدهم في الله ورسوله الموقف تلو الموقف:

سمّاهم الله أنصاراً لنصرهم
دين الهدى وعوان الحرب تستعر(٨٢)
وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا
للنائبات فما خافوا وما ضجروا(٨٣)
والناس أُلب علينا فيك ليس لنا
إلاّ السيوف وأطراف القنا وزر(٨٤)

لقد كذب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الأمر، ومن هؤلاء الناس سليم، وقف الأنصار بجانبه مصدقين مدافعين منافحين، فعاداهم الناس لنصرهم رسول الله ودينه. وينتقل حسان ليتحدث عن تجربة الأنصار في الحرب والجهاد بقيادة المصطفى صلوات الله عليه جهاداً يتلازم مع الإيمان بكل آية ينزل بها الوحي من الله:

نجالدُ الناس لا نبقي على أحدٍ
ولَى ونتبع ما توحي به السّور
ولا يهرّ جناب الحرب مجلسُنا
ونحن حين تَلظّى نارها سُعُر
وكم رددنا ببدرٍ دون ما طلبوا
أهلَ النّفاق وفينا انزل الظفر
ونحن جندك يوم النّعف من أحُدٍ
إذا أحزبت بطراً اشياعُها مضر
فما ونينا وما خمنا وما خبروا
منّا عثاراً وجل القوم قد عثروا

لقد استثمر حسان تجربة الحب والحرب

Afāq al -Ṭaqāfa Wa al -Turāṭ
A Quarterly Journal of Cultural Heritage
Jum`a al -Majid Center for Culture and Heritage

آفاق الثقافة و التراث
مجلة فصلية ثقافية تراثية مكتبية
تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث

Subscription Order Form

قسيمة اشتراك

☐ One Year سنة

☐ More Than One Year أكثر من سنة

☐ # of Years عدد السنوات

للأعداد : . . . . . Issues #

ابتداء من تاريخ : . . . . . Subscription Date :

☐ Check شيك

☐ Bank Draft حوالة مصرفية

☐ Postal Draft حوالة بريدية

التاريخ : . . . . . Date :

التوقيع : . . . . . Signature :

الاشتراك السنوي

داخل الإمارات :
للمؤسسات : ١٠٠ درهماً .
للأفراد : ٦٠درهماً .
للطلاب : ٤٠ درهماً

في الخارج :
للمؤسسات : ٣٥ دولاراً أمريكياً
للأفراد : ٢٠ دولاراً أمريكياً .

تودع الإشتراكات في رقم الحساب البنكي للمركز : ٠٤٩٠٩٠٦٥٢٣ - بنك المشرق - دبي
Payments should be made To Juma al - Majid Center for Culture and Heritage
Acc . # 0490906523 al - Mashriq Bank - DUBAI

Afāq al -Ṭaqāfa Wa al - Turāṭ

آفاق الثقافة و التراث

إشعار بالتسلم
Acknowledgment of Receipt

الاسم الكامل : . . . . . Name:

المؤسسة : . . . . . Institution:

العنوان : . . . . . Address :

صندوق البريد : . . . . . P.O.Box :

☐ عدد النسخ No of Copies

☐ العدد Issue No

☐ اشتراك Subscription

☐ تبادل Exchange

☐ اهداء Gift

التوقيع . . . . . Sig-

التاريخ : . . . . . Date

ترسل إلى :

مجلة آفاق الثقافة و التراث

ص ب : ٥٥١٥٦ – فاكس : ٦٩٦٩٥٠ (٠٤) – دبي – الإمارات العربية المتحدة

Afāq al -Ṯaqāfa Wa al -Turāṯ

P.O.Box : 55156 - Fax : (04) 696950 DUBAI - U.A.E

Stamp
الطابع
البريدي

الاسم : ..... Name:

العنوان : ..... Address :

البـــلد : ..... Country :

ص ب : ..... P.O .Box : هاتف : ..... Phone :

فاكس : ..... Fax :

والولاء للإسلام في عتاب النبيّ القائد صلى الله عليه وسلم، يوظف عاطفة الحب والحزن والحماس للعتاب أيضاً، كل ذلك ليبين لنا موقفه الإسلامي الإيماني من خلال نظرة إنسانية محجوبة عن النبوة(٨٥)، ولربما شجع حساناً على العتاب ما حصل بعيد فتح مكة من رهق في سيوف سليم وخالد بن الوليد، فقد«بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ولم يأمرهم بقتال. وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطىء بني جذيمة، فأصاب منهم وكان بأمرة خالد قبيلة سليم.. فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء، ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد.. ثم أرسل عليّ بن أبي طالب بأموال إلى القوم فوداهم وأرضاهم، وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع فقال: أصبت وأحسنت. ثم استقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى ليرى مما تحت منكبيه، يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات»(٨٦).

لم يكن هدف الرسول صلى الله عليه وسلم تفضيل سليم على الأنصار، ولكنه كما أرى حاول أن يخفف العداء بين قريش والأنصار حتى لا يستمر تتابع الوقائع بين الطرفين، فيكون مدعاة في المستقبل بعد إسلام قريش لإثارة الفتن والضغائن والأحقاد. وليأمن كبح جماح الثارات التي يخشى أن ينساق لها الأنصار فيفتكوا بقريش، في الوقت الذي يهدف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إسلام مكة لا إلى إذلالها.

تأثر أسلوب حسان بالأسلوب القرآني الذي تأدب به، فنحا نحوه في لطف العتاب ورقته، ولا نعرف جواب الرسول الكريم على عتاب حسان، ولكننا نظن ظناً غالباً بأن استجابته لعتابه لن تختلف كثيراً عن استجابته لعتاب الأنصار يوم حُنين، لقد كان عتاب حسان نظرةً آنيّة في الدنيا، وكان موقف الرسول صلوات الله عليه نظرة مستقبلية من أجل الدنيا والآخرة معاً. يستفهم حسان بإنكار ريادة سليم لجيش المسلمين في دخول مكة، ثم يعلل سبب إنكاره بما للأنصار من دور في حياة الدعوة والمسلمين ببقية الأبيات «علام تدعى سليم..».

لقد أثارت قصيدة حسان حفيظة العباس بن مرداس فناقضها مناقضة خفية في قصيدته التي مطلعها(٨٧):

ما بال عينيك فيها عائر سهر
مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر(٨٨)

وفيها يعرِّض تعريضاً مقيتاً بالأنصار بقوله:

لا يغرسون فسيل النخل وسطهم
ولا تخاور في مشتاهم البقر

وقد سبق لنا أن وقفنا موقفاً متأنياً عند هاتين النقيضتين دراسةً وتحليلاً(٨٩).

لقد أثار عتاب حسان هذا مؤاخذة عدد من الدارسين، فرأى الدكتور سامي مكي العاني أنه بقايا من جاهلية حسان القديمة التي بالغ فيها حتى انقلب فخره إلى عتاب لرسول الله(٩٠). ورأى آخر أن هذه القصيدة نزوع إلى القبليّة وحنين إليها، ورفض لظاهرة الدولة بمفهومها الجديد(٩١). وليس في الأمر شيء من الجاهلية أو رفض للدولة الجديدة، بل الأمر كله أن حساناً رأى أن يكون الأنصار أول داخل إلى مكة لسابقتهم في الإسلام وحسن بلائهم في الله لا أدنى من ذلك ولا أكثر.

وقد رأى الدكتور عبد الله الحامد في هذه القصيدة كلفاً جاهلياً عكّر صفو الشعر الإسلامي، لكنه أشاد بالصراحة بين الحاكم والمحكوم، فقد كان الفرد «حراً يقول ما يريد في حدود الإطار الإسلامي، كما كان الحاكم غير مستبد في رأيه، يشرح كل موقف غامض، ويأخذ بكل نقد حق»(٩٢).

استغرق العتاب في الشعر مقطوعة وقصيدتين قصيرتين، وقد كان قصر هذه القصائد دليلاً على حجم التجربة الشعورية للشعراء العاتبين الذين أفرغوها في هذا الشكل الموجز تأدباً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكراهة للإطالة، إذ إن من الحكمة ألاّ يطول العتاب ويكثر، فإنَّ كثرته مدرجةٌ للقطيعة – على رأي الحكماء – وما كان الشعراء ليطيلوا في هذا المقام الكريم. والشعراء أذكياء في إيجازهم الذي رآه الجاحظ فيما ينطوي عليه من الفنون ملازماً لذكاء العرب وفطنتهم ودقة ملاحظتهم، فقال: «ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذق. وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام»(٩٤).

افتتح الشعراء قصائدهم بما ينبىء عن تجاربهم في هاتيك القصائد فمطلع القصيدة وسيلة التعارف الأولى بين الشاعر والمتلقي. فمن خلاله يُستشف موضوع القصيدة وعاطفتها، ويعرف بحرها وقافيتها، وقد عدّه ابن رشيق (– ٤٥٦ هـ) مفتاح القصيدة ينبغي للشاعر أن يجوِّد فيه: «فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدلّ على ما عنده أول وهلة»(٩٥). واشترط حازم القرطاجني (– ٦٨٤ هـ) في المطلع أن يكون «مناسباً لمقصد المتكلّم من كل جهاته»(٩٦). فقد افتتحت قُتيلة بنت النضر قصيدتها برثاء أبيها مشيرة إلى مكان قتله في «الأُثَيْل» الذي ما كانت تتوقع أن يقتل أبوها فيه لقرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم منطلقة من مفهوم قبلي لذا أسمت المكان «مظَنّة».

يا راكباً إنّ الأُثَيْلَ مظَنّةٌ
من صبحَ خامسة وأنت موفّق

واستمرت ترثي أباها رثاء «شاجي الأقاويل مبكي المعاني مثيراً للتباريح بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب ملذوذ»(٩٧).

ثم اختتمت قصيدتها بعاطفة حزينة لتثير الشفقة على أبيها الأسير الذي يرسف في قيوده.

صبراً يقاد إلى المدينة متعباً
رسف المقيَّد وهو عانٍ موثق

لتثير شفقة الرسول الكريم على أبيها. وقد تحقق لها ذلك، فكانت بارعة في ختام قصيدتها، كما كانت بارعة في افتتاحها «وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح»(٩٨).

وافتتح العباس بن مرداس قصيدته بذكر الغنائم والنهاب واختتمها في البيت السابع بحرصه على المنزلة الاجتماعية التي ابتغاها من حصوله على تلك الغنائم.

وبدأ حسان بن ثابت قصيدته بالهموم والأحزان والدموع واختتمها في البيت الثالث عشر بتعزيز موقف الأنصار الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام في حين تذبذب موقف آخرين منه.

لقد كانت مقاطع خواتيم القصائد مناسبة لمطالعها منسجمة مع موضوعاتها وخاصة مقطعي قصيدتي قتيلة وحسان فقد كانا أحسن ما اندرج في حشو القصيدتين، فقد تحرّزا من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفر للنفس عما قصدتا إمالتها إليه(٩٩).

بدت الوحدة العضوية جليّةً في قصيدة قتيلة من خلال العاطفة الحزينة التي سادتها من مطلعها إلى خاتمتها ومن خلال وحدتها الموضوعية التي اتحد فيها العتاب والرثاء اتحاداً لا تنفصل عراه، فهي من جيّد الشعر الذي رأى فيه الجاحظ ما عبّر عنه بقوله:

«وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»(١٠٠).

وبدت الوحدة العضوية أيضاً في قصيدة حسان بن ثابت على الرغم من تعدد التجارب في ظل العاطفة الحزينة التي سادت تجربته العاطفية مع «شعثاء في البيت الأول حتى الثالث» والعتاب (في البيتين الرابع والخامس) الذي يوظف له حسان تجربة قومه في نصرة الله ورسوله (في البيت السادس إلى الثامن) وتجربتهم في الحرب والجهاد المتلازم مع جهاد النفس في تنفيذ ما ينزل من القرآن آية فآية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويوثق حسان صدق هذه التجربة بغزوتي بدر وأحد (في البيت التاسع إلى الثالث عشر الأخير) فهذه التجارب جميعاً تجلو لنا موقف حسان من الدعوة وصاحبها، ولا يتعارض تعدد التجارب مع الوحدة العضوية، ما دامت تمثل جميعاً موقف نفس حسان من الدعوة وصاحبها: «إن الكثيرين لا يفهمون المقصود بهذه الوحدة [العضوية] فيظنون، أن مدلولها هو اقتصار القصيدة على تجربة واحدة أو عاطفة واحدة، ولكن الوحدة المطلوبة لا تحجز الشاعر عن تعدد التجارب والعواطف في قصيدته، إنما يشترط أن تكون جميعاً متجانسة المغزى، هادفة بتعددها إلى استجلاء وحدة في الوجود أو في موقف النفس البشرية منه»(١٠١).

تفاوتت لغة القصائد الثلاث قوة ورقة فكانت قصيدة قتيلة رقيقة الألفاظ يشوبها الحزن والأسى، ولهذا الحزن أثره في تشكيل لغة القصيدة؛ «فليست الألفاظ في بساطتها أو جلالها هي المحك، ولكنّ الطاقة أو العاطفة أو الحركة التي يسبغها الشاعر عليها هي التي تحدد قيمتها»(١٠٢).

واجتازت قصيدة حسان ما في لغة قُتيلة من رقة إلى شيء من قوة الألفاظ المناسبة للفخر الذي أشاعه حسان في جوانب قصيدته. وكانت لغة القصيدتين حضرية جانبت البداوة وابتعدت عن الغريب؛ ذلك أن حسان وقتيلة حضريان، هو من المدينة وهي من مكة «وأهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو»(١٠٣) فلغتهما ألطف من لغة العباس بن مرداس البدوي الذي لم تصقل لغته وأسلوبه الحضارة، ولم يتعمق نفسه الإيمان، وقد شغل بنصيبه من الغنائم عن فنه الشعري، فوقف يعقد منافرة بينه وبين الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن (في البيت الثالث) ومفاخرة أخرى بين أبيه العباس وأبوي قرنيه، حابس وحصن (في البيت السادس).لقد اختلفت لغة القصائد الثلاث باختلاف عواطفها السائدة، واختلاف بيئات شعرائها، واختلاف شخصياتهم وذلك أمر طبيعي، فقد كان القوم يختلفون في إتقان الشعر، «وتتباين فيه أحوالهم، فيرقّ شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعّر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كزّ الألفاظ، معقد الكلام، وعر الخطاب، حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك»(١٠٤).

استعان الشعراء الثلاثة بالتكرار لتحقيق انسجام إيقاعي في شعرهم فضلاً على التأكيد والإفهام والإقناع، ويعد الدكتور سامي العاني التكرار من السمات البارزة في شعر صدر الإسلام(١٠٥).

فقد كررت قتيلة في قصيدتها ألفاظاً جانست بينها (في البيت الرابع) «هل يسمعني، كيف يسمع» وفي «البيت الخامس» بين «والفحل، فحلٌ»، واستعمل العباس التكرار أيضاً في «البيت الثالث» فجانس بين «نهبي ونهب» وكرّر حسان ألفاظاً في شعره نحو تكراره لاسم حبيبته «شعثاء» في «البيت الثاني» وجانس «في البيت الرابع» بين لفظتي «مؤتمن وللمؤمنين»

وكرر الضمير هم في البيت الخامس «هم وهم» وجانس في البيت السادس بين لفظتي «أنصاراً ولنصرهم». وثمّة تكرار آخر غير الجناس يمهّد لتوقع القافية، أشار إليه ابن المقفّع إشارة غير مباشرة من خلال حديثه عن القافية فقال: «كما أنّ خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته»(١٠٦) وسمي هذا اللون من التكرار التوشيح وهو «أن يكون معنى أول الكلام يدل على لفظ آخره فيتنزل المعنى منزلة الوشاح، ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح»(١٠٧). واشترط قدامة بن جعفر «أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته، ومعناه متعلقاً به حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت قافيته(١٠٨) وهذا التكرار يقيمه الشاعر بذكر لفظ في البيت ثم يعيد ذكره أو ذكر أحد مشتقاته في القافية، فيكون الأول ممهداً للثاني، وقد يكون بين اللفظين جناس أو طباق. ويحقق هذا التكرار «التوشيح» توكيداً للمعنى أو استمتاعاً وتلذذاً بترديد أسماء الأفراد أو الأماكن، ويحقق للمتلقي متعة المشاركة بتوقع القافية التي يوحي بها اللفظ الأول. ومن هذا اللون قول قتيلة:

أو كنت قابل فدية فلينفقن
بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابةً
وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق

وقول العباس بن مرداس:

وإيقاظيَ القوم أن يرقدوا
إذا هجع الناس لم أهجع

وقول حسان بن ثابت:

دع عنك شعثاء إذ كانت مودّتها
نزراً وشرٌ وصال الواصل النزر
فما ونَيْنا وما خمنا وما خبروا
منّا عثاراً وجلّ القوم قد عثروا

واعتمد الشعراء الأضداد في شعرهم فطابقوا بين الألفاظ، نحو ما فعل العباس في «البيت الأول» إذ طابق بين «إيقاظ ويرقدوا» وبين «هجع ولم أهجع» وفي «البيت الرابع» بين «لم أُعطَ، ولم أمنع» وفي البيت السابع بين «تضع ولا يرفع»، ونحو ما فعله حسان بن ثابت، إذ طابق في البيت السابع بين «جاهدوا وخاموا». ومن اعتمادهم الأضداد أيضاً استعمالهم التقابل الدلالي بين المعاني، نحو قول قتيلة تقابل بين الحي في الشطر الأول وضده في الشطر الثاني:

هل يسمعني النضر إن ناديته
أم كيف يسمع ميتٌ لا ينطق

ونحو ما فعل حسان بن ثابت إذ قابل بين تحالف الأنصار مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتحالف قبائل مضر ضده:

ونحن جندك يوم النعف من أحد
إذا حزّبت بطراً أشياعها مضر

وأقام تقابلاً آخر بين شجاعة قومه وجرأتهم وتعثر الآخرين في مسيرة الإسلام:

فما ونينا وما خمنا وما خبروا
منا عثاراً وجلّ القوم قد عثروا

لقد أدت هذه الطباقات والمقابلات حقيقة عززت موقف الشعراء في العتاب الذي أدوه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة ونتائج البحث

نحمد الله إذ انتهى بنا المطاف في ظل الدوحة القرآنية الوارفة أن تأدبنا بأدب القرآن الكريم، وعطّرتنا ذكرى المصطفى صلى الله عليه وسلم، فانتهينا في هذا البحث إلى أن العتاب في اللغة: أدنى درجات اللوم وأخفّ مراجعة

المتواجدين، وهو مخاطبة الإدلال ودلّ العتاب في القرآن الكريم على طلب الرضا.

وخلصنا إلى أن مفهوم العتب في الاصطلاح يعني: الحرص على عودة المحبة أو الصداقة أو الرضا بعد حصول ما ينغّصها، فإذا تمت المعاتبة صفت النفس وسكنت ثانية إلى الحب والصداقة والمودة.

وبعد فقد رأينا القرآن الكريم يتدرّج في معاتبة النبيّ صلى الله عليه وسلم على هذا النحو:

١ – عتاب ليّن رقيق يسبقه العفو ﴿عفا الله عنك لمَ أذنتَ لهم..﴾.

٢ – عتاب ليّن رقيق يتبعه العفو ﴿لم تُحرّم ما أحلّ الله لك.. والله غفور رحيم﴾.

٣ – عتاب شديد مشفوع بتنبيه رادع ﴿كلاّ إنّها تذكرة..﴾.

٤ – عتاب شديد مشفوع بالتهديد والوعيد بعذاب عظيم ممتنع ﴿ولولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾.

وكان العتاب الإلهي دروساً للأمة فرداً ومجتمعاً، فأما العتاب الأول فدرس يمتحن صدق إيمان المسلم بالجهاد، وأما الثاني فيرسم حريّة ربّ الأسرة في إطارها الحلال القويم ابتغاء حياة ساكنة في ظلال المودة والرحمة، وأما الثالث فلبناء منهج ينظّم الصلة بين الدعاة والمدعوّين، وأما الرابع فلترسيخ قدم الأمة في الأرض على عهود المحن وتكالب الأعداء. لقد كان العتاب الرحمانيّ موجزاً قصيراً في لفظه وآيه، سامياً في معانيه ودلالاته، وقد حق هذا العتاب، لأنه من الله لمخلوقه وحبيبه وصفيّه.

ورأينا العاتب في النثر يعاتب لأنه لا يرى ما يراه رسول الله صلوات الله عليه ولا يعرف ما يعرفه، وليس له ما للمصطفى من خلق وفضل وقوة وعقل وحكمة وحلم ومروءة وحسن سيرة ومعاشرة وطبع جبل عليه، هذا فضلاً عما يبلغ النبيّ من الوحي الذي يبصّره بما لم يبصر، ويعلّمه ما لم يعلم، فكان يرى ما لا يراه الآخرون، فكان العتاب نابعاً من قصور البشر وتصورهم للدنيا بمعزل عن الآخرة حباً بالدنيا ورغبة بدوام المحبة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصراحة نابعة من الحرص على حبه وبقاء هذا الحب نقيّاً صافياً، وكان عتاب النبي صلى الله عليه وسلم في النثر نادراً جداً وموجزاً، بدا عليه حسن تخيّر الكلام وحسن صوغه تأدباً وكياسة وفطنة وتأثراً بأسلوب القرآن الكريم.وكان عتاب الشعراء النبيّ صلوات الله عليه نابعاً من حالات إنسانية، منها ما غاب الإسلام عنه نحو عتاب قُتيلة بنت النضر الذي كان متسقاً مع التدرج الأول لأسلوب العتاب في القرآن الكريم، وقبله الرسول استجابة لصلة الرحم وغسلاً لما قد يقرّ في صدر الشاعرة من ضغينة على الإسلام والمسلمين، ومنها ما كان في دائرة الإسلام وغاب عنه الإيمان نحو عتاب العباس بن مرداس الذي حرص فيه على مظهر اجتماعي فارغ من مظاهر الدنيا مقياسه المال، وقبل الرسول عليه الصلاة والسلام عتابه كارهاً؛ لأن أسلوبه لم يتأثر بأسلوب القرآن الكريم وأدبه، ومنها أيضاً حالة إسلامية إيمانية غاب فيها عن تصور الشاعر للمستقبل في الدنيا وفي الآخرة، نحو عتاب حسان بن ثابت الذي تأثر فيه بأسلوب العتاب الأول والثاني في القرآن الكريم إلى حد بعيد، وقبل الرسول عتابه كما قبل من قبل عتاب الأنصار في النثر.

وكان العتاب في الشعر قليلاً ونادراً قياساً بالكم الشعري الذي وصل إلينا على عهد البعثة النبوية، كما كان قليلاً ونادراً في النثر من قبل.

لقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم عتاب أصحابه فأدى لنا درساً لمستقبل الأمة وضع فيه حرية القول وصراحة الحوار لمصلحة المسلمين قائداً ورعيّة فكان خير عاتب ومستعتب. وأخيراً فقد وفق الشعراء في إقامة تناسب بين مطلع القصيدة وخاتمتها تناسباً ينسجم مع موضوعها وعاطفتها السائدة، وتحققت الوحدة

العضوية في قصيدتين من شعرهم، وتفاوتت لغة قصائدهم بين الرقة والفخامة والقول تبعاً لتفاوت شخصياتهم وعواطفهم وبيئاتهم واستعانوا بالتكرار والطباق والمقابلة لأداء شعرهم في العتاب.

الحواشي:

١ – الألفاظ الكتابية، ص ٧.
٢ – معجم مقاييس اللغة، مادة «عَتَبَ»، ٢٢٦:٤.
٣ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة «عَتَبَ»، ١٧٦:١.
٤ – القاموس المحيط، مادة «عَتَبَ»، ١٠٠:١.
٥ – لسان العرب، مادة «عَتَبَ»، ٥٧٧:١.
٦ – لسان العرب، مادة «عَتَبَ»، بلا عزو، ٥٧٧:١.
٧ – سورة النحل، الآية ٨٤.
٨ – التفسير الكبير، ٩٦:٢٠.
٩ – الجامع لأحكام القرآن، مج ٥، ١٦٢:١٠.
١٠ – ديوان النابغة الذبياني، ص ٧٤.
١١ – سورة التوبة، الآية ٤٣.
١٢ – السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ١٤٠.
١٣ – ينظر : الزمخشري، الكشاف، ١٩٢:٢. وقطب، سيد، في ظلال القرآن، ٢٣:٤.
١٤ – سورة التحريم، الآية ١.
١٥ – لباب النقول، ص ٣٠٤.
١٦ – سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس،، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها وعادت بصحبته إلى مكة، ثم مات قبل الهجرة فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر: السيرة، ٣٢٩:١، ٣٦٨ – ٣٦٩.
١٧ – لباب النقول، ص ٣٠٥. وينظر: الزمخشري، الكشاف، ١٢٤:٤ – ١٢٧.
١٨ – المصدر ذاته، ص ٣٠٥.
١٩ – سورة الروم، الآية ٢١.
٢٠ – ماريّة بنت شمعون سريّة الرسول صلى الله عليه وسلم وأم ولده إبراهيم، قبطيّة أهداها إليه المقوقس. وينظر ترجمتها في السيرة، ١:١ و١٩١.
٢١ – في ظلال القرآن، ١٦٤:٨ – ١٦٥.
٢٢ – سورة عبس، الآية ١ – ١١.
٢٣ – السيرة، ٣٦٣:١ – ٣٦٤. وينظر: لباب النقول، ص ٣٢٤. والكشاف، ٢١٨:٤.
٢٤ – سورة هود، الآية ٢٧.
٢٥ – سورة الشعراء، الآية ١١١.
٢٦ – في ظلال القرآن، ٤٥٨:٨.
٢٧ – المصدر ذاته، ٤٥٨:٨ – ٤٥٩.
٢٨ – المصدر ذاته، ٤٥٨:٨.
٢٩ – السيرة، ٣٤:٢.
٣٠ – سورة الأنفال، الآية ٦٧ – ٦٨.
٣١ – لباب النقول، ص ١٣٤. وينظر الكشاف، ١٦٨:٢.
٣٢ – السيرة، ٦٧٦:١.
٣٣ – المصدر ذاته.
٣٤ – سورة القلم، الآية ٤.
٣٥ – سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.
٣٦ – سورة التوبة، الآية ١٢٨.
٣٧ – صحيح البخاري، ٣٢٠:٥. وينظر الصفحات من ٣١٧ – ٣٢٠.
٣٨ – صحيح البخاري، ١٠٨:٥.
٣٩ – السيرة، ٤٩٨:٢ – ٤٩٩.
٤٠ – الموجدة : العتاب، ويروى جدة، وأكثر ما تكون الجدة في المال.
٤١ – العالة : جمع عائل وهو الفقير.
٤٢ – أمَنٌّ : من المنّة، وهي النعمة.
٤٣ – السيرة، ٤٩٩:٢.
٤٤ – المخذول : المتروك بلا نصير.
٤٥ – آسيناك : لمياك حتى جعلناك كأحدنا.
٤٦ – السيرة، ٤٩٩:٢.
٤٧ – اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة، شبّه بها

زهرة الدنيا ونعيمها.

٤٨ – السيرة، ٢:٤٩٩.

٤٩ – المصدر ذاته.

٥٠ – المصدر ذاته.

٥١ – المصدر ذاته.

٥٢ – المصدر ذاته، ٢:٥٠٠. أَخْضَلُوا لِحاهُم: بَلُّوها بالدموع.

٥٣ – ينظر السيرة، ١:٧١٠. والأغاني، ١:١٩. «أخت النضر بن الحارث» والصواب ابنته كما في الاستيعاب، وأبوها النضر ابن الحارث بن كَلَدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار.

٥٤ – ينظر ترجمتها في الاستيعاب، ٤:١٩٠٤.

٥٥ – السيرة، ٢:٤٢. وينظر الاستيعاب، ٤:١٩٠٤ – ١٩٠٥.

٥٦ – الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء. مِظَنّة: موضع إيقاع الظن.

٥٧ – النجائب : الإبل العتاق. تخفق: تسرع.

٥٨ – الواكف: السائل.

٥٩ – السيرة، ٢:٤٢. وينظر الأغاني، ١:١٩.

٦٠ – الضنء: الأصل والولد. المُعْرِق: الكريم.

٦١ – المحنِق: الشديد الغيظ.

٦٢ – تنوشه: تتناوله. تشقق: تقطّع.

٦٣ – الرّسف: المشي الثقيل، كمشي المقيّد ونحوه. العاني: الأسير. وقد وردت هذه الأبيات باختلاف في ترتيبها وبعض ألفاظها في الأغاني، ١:١٩.

٦٤ – السيرة، ٢:٤٣. وينظر الاستيعاب، ٤:١٩٠٥.

٦٥ – الأغاني، ١:١٩. وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٧٠.

٦٦ – الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٩٠.

٦٧ – ينظر السيرة ٢:٤٩٢ ـ ٤٩٣. والاصابة ،٣:٦٣٣

٦٨ – ديوانه، ص ٨٤.

٦٩ – النهاب: جمع نهب وهو ما ينهب ويغنم. الأجرع: المكان السهل.

٧٠ – العُبَيْد : اسم فرس الشاعر.

٧١ – ذا تُدرأ : ذا دفع عن قومي. مدافع ذو عزة ومنعة.

٧٢ – أفائل : جمع أفْيَل وهي صغار الإبل. قوائمها: أي قوائم فرسه.

٧٣ – ديوانه، ص ٨٤ – ٨٥.

٧٤ – العباس بن مرداس السلمي الصحابيّ الشاعر، ص ٤٠.

٧٥ – سورة الحجرات، من الآية ١٤.

٧٦ – السيرة، ٢:٤٩٣. وإحياء علوم الدين، ٣:١٢٧.

٧٧ – ينظر الرسول والشعر من خلال السيرة (مجلة، ٥٥).

٧٨ – إحياء علوم الدين، ٣:١٢٧.

٧٩ – السيرة، ٢:٤٩٧.

٨٠ – ديوانه، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

٨١ – سورة الأنفال، الآية ٧٤.

٨٢ – العوان : الحرب التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة.

٨٣ – خاموا : جبنوا.

٨٤ – البيت في رواية السيرة، ٢:٤٩٨. الوزر: الملجأ.

٨٥ – ينظر هامش ٢٩٨ من الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام، دراسة فكرية فنية.

٨٦ – ينظر تفصيل الخبر في السيرة، ٢:٤٢٨ – ٤٣٠.

٨٧ – ديوانه، ص ٥٣.

٨٨ – العائر : كل ما أعلَّ العين. الحماطَة: شجر خشن الملمس وأصله تبن الذرة تقع في العين فتقذى به. أغضى: أغمض جفنه عليها. الشفر: أصل منبت الشعر في العين.

٨٩ – الشعر الإسلامي، ص ٢٩٧ – ٣٠٠.

٩٠ – دراسات في الأدب الإسلامي، ص ٢٨٢.

٩١ – الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٩٨.

٩٢ – الحامد، الشعر الإسلامي، ص ١٩٨.
ونحن نتحرز من استعمال كلمة «الحاكم» إزاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٩٣ – العقد الفريد، ٢:٣٠٩.
٩٤ – الحيوان، ١:٩٤.
٩٥ – العمدة، ١:٢١٨.
٩٦ – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٣١٠.
٩٧ – منهاج البلغاء، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.
٩٨ – العمدة، ١:٢١٧.
٩٩ – ينظر منهاج البلغاء، ص ٢٨٥.
١٠٠ – البيان والتبيين، ١:٦٧.
١٠١ – قضية الشعر الجديد، ص ١٠٨ – ١٠٩.
١٠٢ – الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ص ٨٩.
١٠٣ – طبقات فحول الشعراء، ١:١٤٠.
١٠٤ – الوساطة، ص ١٧ – ١٨.
١٠٥ – الإسلام والشعر، ص٢٢٠.
١٠٦ – البيان والتبيين، ١:١١٦.
١٠٧ – حسن التوسل إلى صناعة الترسل، ص ٢٥٩.
١٠٨ – نقد الشعر، ص ١٩١.

المصادر والمراجع

○ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (– ٦٦٨ هـ) عيون الأنباء في طبقات الأطباء . تـ نزار رضا . بيروت : دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥.

○ ابن جعفر، قدامة (– ٣٣٧ هـ) . نقد الشعر . تـ كمال مصطفى . ـ ط ٢ . القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٦٣.

○ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (– ٨٥٢ هـ) الإصابة في تمييز الصحابة . تـ علي محمد البجاوي . القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.

○ ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (– ٤٥٦ هـ) . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . تـ محمد محيى الدين عبد الحميد . ـ ط ٤ . بيروت : دار الجيل، ١٩٧٢ م.

○ ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (– ٢٣١ هـ). طبقات فحول الشعراء . تحقيق وشرح محمود محمد شاكر . القاهرة : مطبعة المدني، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

○ ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله بن محمد (– ٤٦٣ هـ) . الاستيعاب في معرفة الأصحاب . تـ علي محمد البجاوي . القاهرة: مطبعة نهضة مصر (د. ت.).

○ ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمرة أحمد بن محمد (– ٣٢٧ هـ) . العقد الفريد . تـ أحمد أمين وآخرين . ـ ط ٣ . القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م.

○ ابن فارس، احمد ابوالحسين (– ٣٩٥ هـ) . معجم مقاييس اللغة . تـ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (د. م.) ،(د. ت.).

○ ابن معاوية، زياد . ديوان النابغة الذبياني (– ٦٠٤ هـ)
تـ محمد أبي الفضل إبراهيم .القاهرة : دار المعارف (د. ت.).

○ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (– ٧١١ هـ) . لسان العرب. بيروت : دار صادر، ١٩٥٥ – ١٩٥٦.

○ ابن هشام، عبد الملك (– ٢١٨ هـ) . السيرة النبوية . تـ مصطفى السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . ـ ط ٢ . القاهرة : شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.

○ أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين (– ٣٥٦ هـ) الأغاني . إشراف وتحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.

○ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (– ٢٥٦هـ) صحيح البخاري . ـ ط ٢ . بيروت : عالم الكتب، المطبعة المنيرية، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.

○ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (– ٢٥٥ هـ) .البيان والتبيين. تـ وشرح عبد السلام محمد هارون ط ٣ . القاهرة : مؤسسة الخانجي (د.ت.).

○ الجاحظ ، ابوعثمان عمرو بن بحر (– ٢٥٥ هـ) الحيوان . تـ وشرح عبد السلام محمد هارون . ـ ط ٣

. بيروت : دار الكتاب العربي، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م.
○ الجرجاني، علي بن عبد العزيز (– ٣٩٢ هـ) . الوساطة بين المتنبي وخصومه . تحقيق وشرح محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . ـ ط ٤، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م.
○ الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (– ٣٩٣ هـ) . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . تـ أحمد عبد الغفور عطّار (د. م.) ،(د. ت.).
○ الحامد، عبد الله . الشعر الإسلامي في صدر الإسلام . الرياض : مطابع الإشعاع التجارية، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.
○ حسنين، سيّد حنفي . ديوان حسان بن ثابت الأنصاري . مراجعة حسن كامل الصيرفي. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.
○ درو، أليزابيث . الشعر كيف نفهمه ونتذوقه . ترجمة محمد إبراهيم الشوش . بيروت، ١٩٦١ .
○ ديوان العباس بن مرداس السلمي (– نحو ١٨ هـ) جمع وتحقيق يحيى الجبوري، بغداد: دار الجمهورية وزارة الثقافة والإعلام ، ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.
○ الزبيدي، كاصد ياسر . الرسول والشعر من خلال السيرة، مجلة الجامعة، ع ٥، السنة ١١ . الموصل، ١٩٨١ .
○ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر (٤٦٧ – ٥٣٨) . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . طهران (د. ت.).
○ سركيس، إحسان . الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية . بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١ .
– السيوطي، جلال الدين (– ٩١١ هـ) . لباب النقول في أسباب النزول . ـ ط ٢ .تونس : الدار التونسية للنشر، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
○ العاني، سامي مكي . الإسلام والشعر . الكويت : سلسلة عالم المعرفة، ع ٦٦، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.
○ العاني، سامي مكي . دراسات في الأدب الإسلامي، توزيع المكتب الإسلامي (د. م.) ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.
○ عسيلان، عبد الله عبد الرحيم . العباس بن مرداس السلمي الصحابي الشاعر . الرياض : دار المرّيخ للنشر، ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.
○ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (– ٥٠٥ هـ) . إحياء علوم الدين، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الحسين العراقي (– ٨٠٦ هـ) . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر (د.ت.).
○ الفخر الرازي (– ٦٠٦ هـ) . التفسير الكبير . ـ ط ٢ . طهران : دار الكتب العلمية (د. ت.).
○ الفهادي، كمال الدين. الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام : دراسة فكرية فنية، (رسالة دكتوراه) الموصل: جامعة الموصل ـ كلية الآداب. ١٤١١ هـ =١٩٩٠ م.
○ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (– ٨١٧ هـ) . القاموس المحيط . بيروت : دار العلم للجميع (د. ت.).
○ القرطاجني، أبو الحسن حازم (– ٦٨٤ هـ) . منهاج البلغاء وسراج الأدباء . تقديم وتحقيق محمد الحبيب أبي الخوجة . تونس : دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦ .
○ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (– ٦٧١ هـ) . الجامع لأحكام القرآن . بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٦ .
○ قطب، سيد . في ظلال القرآن . ـ ط ٥ . بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م.
○ النويهي، محمد . قضية الشعر الجديد . ـ ط ٢، دار الفكر ومكتبة الخانجي، ١٩٧١ (د. م.).
○ الهمذاني، عبد الرحمن بن عيسى (– ٣٢٠ هـ). الألفاظ الكتابية، (د.م): الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠.